

الدراسات الاستشرافية واسهاماتها في بيان تأثير الاوبئة والكوارث الطبيعية على زوال الخلافة الاسلامية

د.م.و حيدر مجيد حسين العلي

جامعة المثنى/كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص

يهدف هذا البحث الى عرض جانب من دراسات المستشرقين وتتبع نتائجها في تقييم اثار الكوارث الطبيعية على سقوط الدولة الاسلامية في بغداد على يد المغول عام (١٢٥٨/٥٦٥٦م) ، لما اشتملت عليه هذه الدراسات من مادة علمية قيمة، استندت مواردها الى الشذرات التاريخية والجغرافية المتناثرة عن اخبار الكوارث الطبيعية في المصادر الاسلامية وغير الاسلامية ، وفقا للمناهج العلمية المعاصرة ولاسيما المنهج النقدي المقارن والمنهج التحليل الاحصائي والمنهج الوصفي، لتعقب ملامح ضعف الدولة من عصر الازدهار الى عصر الاضمحلال بسبب الكوارث الطبيعية.

وتبعاً لذلك اقتضت متطلبات الدراسة ان تقسم الدراسة الى ثلاث مباحث ، ناقشنا في المبحث الاول جهود المستشرقين في تقييم الروايات الاسلامية الواردة عن الكوارث الطبيعية وبيان جهودهم في اعداد جداول احصائية لتلك الكوارث الطبيعية وتدقيقها وفقاً للاعتبارات المكانية والزمانية وبيان اسهاماتهم في تفسير المعنى الاصطلاحي للوباء وتميز الطاعون عن بقية الاوبئة ،وقد خصص المبحث الثاني لبيان اراء المستشرقين عن تأثيرات الفيضانات والجفاف على النظام الزراعي وحدث الاضطرابات في النظام الريفي من النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والاثر التدميري للمجاعات على السكان ،اما المبحث الثالث فقد تتبعنا من خلاله اراء المستشرقين في علاقة الكوارث الطبيعية بسقوط الدولة الاموية وتتابع ملامح الضعف التدريجي لمركزية الدولة العباسية الذي ادى الى زوالها، زيادة على تعريف اثارها المباشرة وغير المباشرة على الحملات العسكرية ،كما اشتمل هذا المبحث على اشارة لدراسة في غاية الاهمية تخلص الى قيام المغول باستخدام نشر الوباء بنحو متعمد لإضعاف القوة العباسية واحتلال بغداد في سابقة تاريخية خطيرة في تاريخ الحروب في التاريخ الاسلامي . استندت هذه الدراسة الى مجموعة من المصادر الغربية ،ابرزها دراسة المستشرق الفرد كريمر **Kremer Alfred** التي قدم من خلالها قائمة بالكوارث الطبيعية التي تركت اثارا فعلية بعد التحقق من حدوثها في المصادر الاسلامية وغير الاسلامية مع الاشارة الى اثارها على النظام السياسي ،كذلك تدرج دراسة روبرت سي الين **Robert C. Allen** الديموغرافية التي اشتملت على معلومات تحليلية لأثر الكوارث الطبيعية على تناقص وريادات الدولة ومقدار الانتاج السنوي للمحاصيل واثر ذلك على البنية السكانية والعسكرية للدولة ، كما ضمت الدراسة شذرات من بحوث كونارد.أ.لورنس **Lawrence I Conrad** عن الاوبئة والطواعين في التاريخ الاسلامي، ولا تفوتنا الاشارة الى اراء المستشرقة سارة كيت **Sarah Kate** الموضوعية التي اثرت جميع ثنايا البحث .

وقد خلصت الدراسة الى ان جهود المستشرقين قدمت دليلاً على ان العوامل السياسية والاقتصادية والعسكرية لم تكن السبب المباشر لسقوط الدولة الاسلامية بل كانت هنالك اسباب طبيعية متراكمة خلقت تلك الاسباب .

الكلمات المفتاحية : وباء - طاعون - كارثة - زلزال - خلافة

**Contributions of orientalism studies to explaining the effects of epidemics and  
natural disasters in the fall of the Islamic caliphate**

**Assist Prof. Haider Majid Hussein**

**Al-Muthanna University/ College of Education for Human Sciences**

**Abstract**

This research aims to explain the connection between the devastating effects of natural disasters and the fall of the Islamic Caliphate through orientalist studies that had drawn on Islamic and non-Islamic. Consequently, the study had divided into three sections. First, we trace the Orientalists' efforts to clarify the meaning of the catastrophe and their evaluation of these sources using the critical comparative approach and statistical analysis. The second had dedicated to explaining the consequences of floods and droughts on the agriculture system and agrarian society, and the famine impacts on the population, while the third was devoted to illustrating the opinions of orientalists on the fall of the Umayyad state and the gradual weakening of the centrality of the Abbasid state, and the impact of natural disasters on military campaigns and how The Mongols deliberately using the epidemic as a biological weapon to occupy Baghdad in 1258AC/656AH. This study had based on a combination of Western sources, including Alfred Kremer's Bibliographic and Robert C. Allen Statistical and Lawrence Conrad's Epidemiological Studies, as well as the objective viewpoint of Sarah Kate. This study concludes that the Orientalists had proven that political, economic and military aspects were not the direct cause of the Islamic State collapse but a cumulative non-human cause created these causes.

**Keywords: epidemic – plague – disaster – earthquake – caliphate**

المبحث الاول: الدراسات الاستشراقية وقيمتها في دراسة الكوارث الطبيعية  
أولاً- تثمين جهود الاخباريين المسلمين في تدوين الكوارث الطبيعية:  
لم تكن عناية المستشرقين تقتصر على تتبع الكوارث الطبيعية واثارها على البلاد الاسلامية فحسب ، بل شملت  
التعريف بأهمية المصادر الاسلامية التي سجلت هذه الحوادث، ومقارنتها مع المصادر غير الاسلامية المعاصرة  
في توثيق هذه الحوادث ،والى ذلك يقول المستشرق كونارد.أ. لورنس :Lawrence I. Conrad" ساعدتنا  
المصادر العربية على رسم صورة دقيقة إلى حد ما عن البيئة الجغرافية التي كتبوا عنها، لكن كتابات المؤلفين  
المسلمين كانت تفتقر الى التخصصية لانها لم تورد اشارات دقيقة عن اعراض الوبئة وفترة انتشارها و سبل  
التغلب عليها ولاسيما الطاعون مقارنة بما ورد في المصادر السريانية في منتصف القرن التاسع الميلادي التي  
كانت اكثر دقة وتفصيلا"<sup>(١)</sup>.

اما ديفيد واينس Waines David فيرى ان المؤرخون المسلمون لم يسجلوا تاريخ كارثة طبيعية قدر التزامهم بذكر العواقب الانسانية والبيئية المصاحبة لتلك الكارثة<sup>(٢)</sup> ، وقد احصت المستشرقة سارة كيت Sarah Kate في المدة من (٤٩٣-٨٠٣ هـ/١١٠٠-١٤٠٠م) حدوث (٣٦) حالة جفاف وردت في المصادر غير العربية ولم يرد لها أي ذكر في مصادر الاخباريين المسلمين<sup>(٣)</sup> .

واشارت كيت الى ان كثيرا من البيانات عن حالات الجفاف لم تذكرها المصادر الاسلامية بنحو متزامن مع وقت المجاعة وان اغلب ما ورد من المعلومات نقلت شفويا وكتبت في وقت لاحق للكارثة<sup>(٤)</sup> .

وقد اعرب المستشرق دي لاسي De Lacy عن اسفه لعدم تركيز الباحثين على هذه المعلومات التي تتعلق باثر الكوارث الطبيعية لفهم المتغيرات البعيدة الامد ضمن نطاق الدراسات التاريخية : "دون ادنى شك ان الأوبئة كان لها تأثيرات بعيدة المدى على التاريخ السياسي والثقافي للبشرية ، ولعلها تفوق بكثير اثر الحرب والتوسعات الحربية ، ولعل هذا الامر يحملنا على الشعور بالندم لان هذا الارث لم يكشف النقاب عنه ضمن هذا المجال الواعد من الدراسات التاريخية"<sup>(٥)</sup> .

ويرى كونراد Conrad ان تتبع الكتاب الغربيين لآثار الكوارث اسهم في تقديم معلومات قيمة عن احوال العالم القديم ولاسيما تلك التي كانت ذات تأثير مشترك على العالم الاسلامي واجزاء من اوروبا في ان واحد : "ان دراسة الكارثة الطبيعية قدم فهما واضحا لما حدث لشعوب العالم القديم في الشرق وتأثير ذلك على اوروبا منذ القرن (٨) حتى القرن (١٣) الميلادي"<sup>(٦)</sup> .

ولفتت سارة كيت Sarah Kate الى ان المصادر الاسلامية ، قدمت وصفا عن طول فترة الجفاف وشحة هطول الأمطار وما يتبعها من سرد بنوعية الاضرار التي خلفتها الكوارث على المحاصيل الزراعية ، لكن في بعض الاحيان كان يحيط بهذه الكتابات نوع من الغموض ، فترى ان بعض المؤرخين الاسلاميين كانوا يميلون نحو التعميم وعدم الدقة في تحديد المناطق الاكثر ضررا من الكوارث الطبيعية<sup>(٧)</sup> .

وصفوة القول ان امكانية المستشرقين للولوج الثنائي والمقارنة بين الاحصائيات الواردة في النصوص العربية وغير العربية في الوقت عينه اعطى وصفا متناغما اكثر دقة من الناحية المنهجية والعلمية في تقييم تداعيات الكوارث الطبيعية ، مقارنة بالدراسات الاستشرافية الاخرى في الجوانب الدينية او العقديّة او السياسية الاخرى التي تحتمل المبالغة و التحامل الأيديولوجي .

وقد كشف المستشرق جوزيف بايرن Joseph Byrne عن تحول منهجي عميق في نظرة المؤلفين المسلمين بفعل الكارثة الطبيعية ولاسيما فيما يتعلق بتطوير البحث العلمي : " شرع الحكماء في الدولة الاسلامية في بغداد الى الرجوع الى الكتب القديمة باللغات الاجنبية التي يرجع تأليفها الى عصر ما قبل الاسلام ، فسجلت حركة ترجمة هائلة للمصادر الطبية الاغريقية الى اللغة العربية حتى اصبحت بغداد مركزا عالميا للبحث العلمي عن علاج الوبئة للكارثة فكانت الفترة العباسية فترة بحث علمي حقيقي"<sup>(٨)</sup> ، الامر الذي يشير الى ان التطور في النزعة النقدية والتدوينية لدى الاخباريين المسلمين ايضا .

ثانياً- البيان الاصطلاحي لمعاني الوبئة واختلافاتها عن الطواعين:

من بين المعوقات التي شخصها المستشرقون في تتبعهم لتداعيات الوباء في التاريخ الاسلامي، كان بيان المعنى الاصطلاحي للوباء واختلافه عن (الطاعون)، ويبدو ان كلمة (الوباء)، تمثل الوصف الاعم لتفشي الامراض في المصادر العربية وفقا لدراسة دولز Dols الذي عد الوباء المصطلح الوصفي الشائع والمستخدم لمعظم الأوبئة ، بعبارة اخرى كل مرض انتقالي مثل التيفوس والجدي والكوليرا<sup>(٩)</sup> .

لقد اسهمت دراسة المستشرق كونراد Conrad في دراسة المصطلح اللغوي للوباء في الاسلام، بشكل علمي الذي يرى انه لم تجري أي محاولة منهجية من الاخباريين لبيان المعنى الدقيق للوباء للتمييز بشكل صريح بين الطاعون وبين اي مرض وبائي آخر لذلك شرع ياحصاء جميع الامراض ومسبباتها وفقا للمصطلحات المعجمية العربية وترجمتها باللغة الانكليزية للكشف عن وجه الاختلاف والتشابه بينها وبين الطاعون وباقي الوبئة من الناحية الطبية من حيث الاعراض التنفسية والجلدية وطرق انتقال العدوى عبر الهواء والتلامس، وارجاع مسبباته الى الهواء الفاسد و التلوث المناخي و المياه الاسنة ومجري المياه المتجمعة او الانهار الفاسدة التي تتكون بعد الفيضانات لتصبح مضيافاً للحشرات الفتاكة ومصدرا للأبخرة الملوثة المفسدة للهواء في المدن مما يسبب انتشار الوباء ، فضلا عن قيامه بتحديد انواعه التي ظهرت وهما نوعان : (الطاعون الدبلي والطاعون الرئوي) المسببان لأعلى معدلات الوفيات بمعدل (٧٠%) من السكان<sup>(١٠)</sup> .

وقد اشتملت دراسات كونراد Conrad على مقارنة ما ورد في العلامات الواردة عن الطاعون عند المسلمين ،مع العلامات السريرية في المصطلحات الطبية المعاصرة مبينا في تعليقاته مقدار الدقة التي اشتملت عليها المصادر الاسلامية في وصف الاعراض وبيان اثاره الوبائية وتمييزه عن باقي الحميات من خلال التتبع العلمي لكل نوع من انواع الطاعون وبيانها حسب صفة الطاعون اللوني وصلتها مع الاشكال التقليدية من خلال التحقق من الاعراض التي رافقت هذا الوباء ومقارنتها ان كانت طاعونا او وباء اقل فتكا ،وقد وخلص كونراد بانه ورم التهابي مؤلم يظهر في الغدد اللمفاوية في منطقة العانة والابط سرعان ما يؤدي الى موت المصاب بعد (٤-٥) أيام، ويكون على مسميات اقلها اثرا الاحمر واسواها الاسود والاخضر<sup>(١١)</sup> .  
ثالثاً- نطاق التأثيرات المكانية والزمانية للكارثة:

اسهمت دراسة المستشرق الفرد كريمر A. Kremer الاحصائية في تحديد انتشار الكوارث الطبيعية في عموم العراق من النواحي الزمانية والمكانية وقد وجد أن مدن البصرة والكوفة و واسط تأثرت بشكل بارز، لكن تأثير الكوارث على العاصمة بغداد كان الأعنف مقارنة بباقي المدن<sup>(١٢)</sup> ،ولعل سبب ذلك يرجع إلى الكثافة السكانية في بغداد ومكانتها كعاصمة للدولة الأمر الذي جعلها محط أنظار المؤرخين دون سواها من باقي مدن العراق إضافة إلى موقعها الجغرافي الذي يقترب فيه نهريه دجلة والفرات مما يجعلها اكثر عرضة للفيضانات وقد صنف كريمر Kremer قائمة تضمنت تسجيل (٤٠) كارثة طبيعية مدمرة عصفت بالخلافة الاسلامية حتى سنة (٤٠٦هـ/١٠١٥م)، ولعل هذا العدد اقل من الاعداد الواردة في المصنفات الاسلامية التي حملت بعض المبالغة، وتبعاً لذلك تعد هذه الدراسة اقرب الى الدراسة التحقيقية لبيان العدد المنطقي للكوارث كما علق على ذلك كريمر Kremer قائلاً: " ان هذه القائمة ليست مكتملة لكنها كافية لبلوغ استنتاجات مهمة ،فالحقيقة المذهلة اننا احصينا وقوع (٤٠) وباء عظيماً خلال مدة اربع قرون منها (٢٢) وباء أي اكثر من نصف هذه الاحصائية، وجميع هذه الكوارث اما انها ابتدأت من العراق او انها انتشرت فيه"

"This list, however incomplete, is enough to enable us to draw important inferences. The striking fact, first and foremost to note, is that, of the 40 great epidemics which appeared in the course of four centuries, no less than 22 that is more than half either began in or visited Iraq"<sup>(13)</sup>

المبحث الثاني: التداعيات الاقتصادية المتعلقة بكوارث المياه والامطار

اعتمدت دراسات المستشرقين المنهج التحليلي الاحصائي في بيان تداعيات الكارثة الطبيعية وتوظيف البيانات المذكورة في المصادر القديمة لبناء تصورات اقتصادية معاصرة، ومن تلك الابحاث الجديرة بالاهتمام تندرج دراسة المستشرقة اشبل Ashbal بشأن علاقة انهار العراق بحدوث الكوارث التي خلصت الى ان نهري دجلة والفرات على الرغم من كونهما شريان الحياة لسكان العراق، لكنهما سرعان ما كانا يتحولان في اوقات مختلفة الى مصدر تدمير بسبب سرعة جريانهما في فترة الربيع مما يؤدي الى اتلاف المحاصيل الزراعية في فترة الحصاد<sup>(١٤)</sup>، وتبعاً لدراسة واينس Waines فان سرعة جريان المياه في فصل الشتاء سببت حدوث فيضانات غير متوقعة<sup>(١٥)</sup>، وقد اكدت فيرنا روبرتس Fernea Robert ان مناسيب المياه كانت ترتفع في شهر نيسان، الامر الذي جعلها متأخرة عن ارواء المحاصيل الشتوية، ومبكرة جدا لإرواء المحاصيل الصيفية مما سبب حدوث الفيضانات والجفاف في وقت واحد<sup>(١٦)</sup>، زيادة على تجريف المنازل والبساتين والحقول واغراق الطرق لدرجة استحالة المواصلات، علاوة على تداعيات ذلك على الصحة العامة نتيجة الأمراض الناجمة عن المياه الراكدة التي تنشأ بفعل الظروف الرطبة المثالية لنمو البكتيريا والحشرات والقوارض التي كانت سببا في حدوث الوبئة<sup>(١٧)</sup>.

وقد اجري آدمز روبرتس Adams Robert مسحا تعقب من خلاله الاثر التدميري للفيضانات الانهار العراق خلال الحكم العباسي وخلص الى ان هذا التأثير لم يكن مباشرا فحسب لكن الاخطر منه التأثير الطويل الامد الذي ادى الى زياده معدلات الملوحة في الاراضي الزراعية، التي بدأت اثارها بالظهور منذ بداية القرن (١٠/هـ/١٠م) وسببت تراجعاً في الواردات الزراعية في حوض دجلة بنحو (٨٠%) مما ادى الى تناقص عدد القرى من (٣٠٨) الى (٢٣٤) قرية<sup>(١٨)</sup>.

وقد اشار واينز Waines انه عندما انخفضت مناسيب دجلة والفرات عام (٢٨٤/هـ/٨٩٧م) جفت القنوات وارتفعت اسعار المياه العذبة حتى اقبل الجميع على القدوم الى بغداد للصلاة من اجل المطر<sup>(١٩)</sup>.

وقد حدد آدمز Adams مقدار انحسار المناطق الزراعية المحيطة بمنطقة حوض دجلة الى المحيطة ببغداد من (٨٠٠٠) كم<sup>٢</sup> في ايام الساسانيين الى (٦٠٠٠ كم<sup>٢</sup>) ايام الحكم العباسي<sup>(٢٠)</sup>، ويرى جاكوبسون ورفاقه Jacobsen & Others انه وبحلول منتصف القرن (١٢/هـ/١٢م) تحولت الكثير من الاراضي الصالحة للزراعة من منطقة الفرات ودجلة إلى اراضي قاحلة بعد ان كانت هناك نسبة كبيرة من التربة الغرينية الصالحة للزراعة حول بغداد سرعان ما اصابها التدمير بفعل الملوحة واستحواذ البدو عليها واهمالها بعد ان تركها المزارعون<sup>(٢١)</sup>، لقد لعبت الفيضانات دورا كبيرا في حدوث الانهيار الاقتصادي ولاسيما في فيضان عام (١٢٣٠/هـ/١٢٣٠م) بعد ان جُرفت الاراضي الزراعية وتعطلت القنوات واصبحت قنوات نهر الفرات محطات تصريف للمجاري باتجاه نهر دجلة<sup>(٢٢)</sup>.

وقد تتبع المستشرق روبرت سي الن Robert C. Allen الاثار التراكمية السلبية لانهار العراق وعلاقتها بتداعيات النظام الاقتصادي والاجتماعي والعسكري بالكامل منذ فترة مبكرة من عمر الدولة الاسلامية، اذ اظهرت هذه الدراسة وكما مبين في الجدول ادناه مقدار الضرر الذي تعرض له العراق اقتصاديا واجتماعيا، خلال فترة قرن ونص، الامر الذي علل من خلاله عجز الخلفاء المتأخرين في اصلاح الامور في ظل انحدار الدخل وتناقص القوة العسكرية وتناقص عدد السكان والهجرة العكسية، مما ادى الى حدوث الضعف السياسي وظهور المناوئين<sup>(٢٣)</sup>

دراسة المستشرق Robert C. Allen			
الاحصائية للنظام الاقتصادي والاجتماعي ومدى تأثير المتغيرات المناخية والسياسية في العراق عاصمة الخلافة العباسية للفترة من حكم الخليفة (الثالث) المهدي (١٥٨ هـ - ١٦٩ هـ/٧٧٥ م - ٧٨٦ م) الى حكم المقتدر بالله (الثامن عشر) (٢٩٥ هـ - ٣١٧ هـ/٩٠٨ م - ٩٣٢ م)			
السنوات	163/780	305/918	هجري/ميلادي
عائدات الدخل	90.5	38.5	مليون درهم
عدد الجنود المستأجرون من الخلافة	586,556	70,188	جندي
تعداد سكان الريف	4,000,000	718,351	نسمة
تعداد سكان المدن	1,757,450	315,616	نسمة
اجمالي السكان في العراق	5,757,450	1,033,967	نسمة
اجمالي المحاصيل الزراعية	2757	495	كغم/ مليون

ويرى روبرت Robert ان مساحة الارض الزراعية في العراق في عصر اوج القوة ابان عهد هارون الرشيد حتى المأمون كانت (٣) مليون هكتار، كان يعمل فيها (٤) مليون مزارع في العراق من الرجال والنساء بإجمالي إنتاج (٤.١٦٢٥) مليون طن من المحاصيل الحقلية (٢٤) .

ومنذ اواخر القرن (٩/٣م) شهدت الدولة الاسلامية في العراق انحدارا حادا في مستوى الدخل بلغ (٥٢%) بسبب انخفاض الانتاج وانحدار الحصاد الامر الذي ادى الى زيادة اسعار الواردات الزراعية عدة اضعاف، وتقلص الاقتصاد بسبب الكوارث المناخية المتعلقة بجريان نهري دجلة والفرات الامر الذي ادى الى تقليص مساحة الارض المزروعة وانخفاض عدد العاملين بالقطاع الزراعي بنسبة (٨٢%) حتى بلغ عدد العاملين بالزراعة من (٥.٨) مليون نسمة الى مليون نسمة فقط (٢٥) هذا الانخفاض الحاد كان بواقع (٧) مليون نسمة في المناطق الريفية والحضرية حتى اصبحت مناطق منتصف السواد شبه فارغة في القرن (٤/١٠م) المحاذية للأهوار (٢٦) .

واضافت اشبل Ashbal ان هطول الأمطار في المنطقة بين الفرات ودجلة كان بالكاد يكفي للحفاظ على المحاصيل الشتوية بدون نظام للري الذي عدته سببا في حدوث الازمات الزراعية في العراق (٢٧) وخلصت سارة كيت Sarah Kate الى ان الضرر الاقتصادي الناجم عن الجفاف كان أكبر من الضرر الناجم عن أي كارثة بيئية أخرى، نتيجة تراجع نسب المحاصيل التي ادت الى نقص المراعي ونفوق الماشية، و في سنوات الامطار الجيدة، بلغ معدل التساقط (٣٠٠ ملم) من الأمطار سنوية لكن عادة ما يكون المتوسط أقل من (١٥٠ ملم) وتبعاً لذلك تكاد هذه الكمية من الأمطار غير كافية لإرواء المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات، وغير كافية للحفاظ على المحاصيل الشتوية بدون نظام الري (٢٨) .

أولاً- الكوارث الطبيعية وتأثيرها على العلاقة بين المجتمع الريفي وسلطة الدولة:

لا مناص من القول ان تراجع مساحة الزراعة وانخفاض انتاجية الارض وارتفاع معدلات البطالة في المناطق الزراعية وفقا للإحصائيات اعلاه قد انعكس بشكل مباشر على المجتمع الريفي، ويشير فرنارد باول Forand,Paul ان خراب القنوات الاروائية بفعل الفيضانات وعدم قيام الدولة بصيانتها بالتنسيق مع الفلاحين لاحتواء الكوارث، كان احد اسباب انحدار العلاقة بين مركز الخلافة وبين الريف، لاسيما مع زيادة الضرائب المفروضة على الواردات الزراعية لسد العجز، فكان ذلك سببا مباشرا في تعميق المعارضة لسلطة النظام

السياسي في المناطق الريفية<sup>(٢٩)</sup> ، ومن امثلة السياسات الخاطئة في التعامل الدولة مع الكوارث ، عندما قامت الدولة في عام (٣٢٦هـ/٩٣٧م) بإغلاق قناة النهروان الامر الذي عطل الزراعة لعقدين و ادى الى حدوث نقص حاد في المواد الزراعية<sup>(٣٠)</sup>.

ويرى واينز **Waines** ان انحسار الواردات الزراعية ادى الى انخفاض الدخل وضعف مركزية الدولة بشكل تدريجي مما ادى الى ظهور الدويلات ذات الحكم الذاتي غير الخاضعة للاستراتيجية الخلافة المباشرة وانحسار الزراعة وتدمير النظام الاروائي مما ادى الى زيادة المشاكل بشكل تدريجي خلال عقود لاحقة في المناطق الريفية التي اصبحت لاحقا سببا مباشرا في حدوث اضطرابات النظام السياسي وفاقلا اساسيا في تقويضه ولاسيما وان العباسيون ورثوا نظاما اروائيا وزراعيًا في العراق من الساسانيين ولم يكونوا مبتكرين له<sup>(٣١)</sup>، بعبارة اخرى ان العباسيين افتقروا الى الخبرة الكافية في التعامل مع الكوارث الطبيعية وتداعياتها على الزراعة مقارنة بخبرة الساسانيين ، ولاسيما ان تعطل الاقتصاد الريفي لأكثر من موسم واحد كان يضع النظام الاجتماعي والسياسي على المحك<sup>(٣٢)</sup>.

وقد خلص المستشرق واينز **Waines** الى وجود تناسب طردي بين استقرار النظام الريفي و بين قوة الدولة : " خلافا لما جرت عليه العادة في العصور العباسية الاولى التي كانت فيها الاولوية تعطى لضمان استقرار النظام الاقتصادي للفلاحين واتخاذ التدابير الممكنة لمساعدتهم على احتواء المشاكل التي ترافق الكوارث الطبيعية ، فان هذه السياسة تغيرت بعد نهاية الحرب الاهلية في بغداد سنة (٨٦٤م) وبداية عصر سامراء وتنامي سلطة المرتزقة الاتراك التي كانت سببا في تحول سكان المناطق الزراعية الى معارضين للدولة"<sup>(٣٣)</sup>، وقد تتبع كريم **Kremer** عواقب فرض الضرائب على سكان الارياف ووجد عينات مثل قبيلة بنو حبيب في اقليم الجزيرة ، قاموا بترك ارضهم و خرجوا مع عبيدهم ومواشيهم وكان عددهم (١٢) الف انسان ليلجئوا الى البيزنطيين و يتركوا دين الاسلام واعتنقوا المسيحية فكانت الحفاوة التي عوملوا بها سببا في تتابع الكثيرين لالتحاق بهم حتى صاروا قوة تعتمد عليهم الدولة البيزنطية في غارتها على الحصون الاسلامية في المنطقة<sup>(٣٤)</sup>.

ثانياً- تأثير الكوارث الطبيعية على حواضر الخلافة مقارنة مع باقي مدن العالم:

تركت دراسة لانسر جايكوب **Lassner Jacob** بصمة واضحة في دراسة خارطة الكثافة السكانية لمدن العالم في القرون الوسطى ، التي اشتملت على نتائج قيمة في تحديد الصلة بين تزايد الكثافة السكانية في مراكز الخلافة الاسلامية وبين تداعيات الكوارث الطبيعية، وخلص جايكوب الى ان مدينتي بغداد وسامراء كانتا اكبر المدن في العالم من حيث الكثافة السكانية بعد الصين في القرون الوسطى، و كانت بغداد لوحدها تستوعب (٥ اضعاف) ما كانت تستوعبه القسطنطينية (عاصمة الدولة البيزنطية) خلال (١٠) قرون، واستوعبت (١٣ ضعفا) من استيعاب طيسفون (عاصمه الدولة الساسانية السابقة)، الامر الذي جعل حجم الكارثة الطبيعية عظيما على الدولة عند حدوثها لما يتركه من اعباء ثقيلة على مدخرات المياه والطعام وكفاية الانتاج الزراعي في فتره الازمات<sup>(٣٥)</sup>.

وصفوة القول ان اضطراب الكثافة السكانية في عواصم الخلافة الاسلامية في عصور الاستقرار كان سببا في تعميق الازمات الانسانية في زمن الازمات الطبيعية ولاسيما الوبئة ، وقد اقر دولس **Dols** بان حجم الضرر الذي خلفته الوبئة على المشرق الاسلامي كان اعظم من تلك التي تركتها الوبئة على الغرب الاوربي قائلا : "خلافا للتجربة الأوروبية مع الطواعين ، فان تكرار انتشار الوباء في الشرق الأوسط، كان الأكثر ضررا وتدميرا

مقارنة بما حدث في اوبئة اوروبا لأنها سببت انخفاضا حادا وسريعا في اعداد السكان وتأثيرا تراكميا بعيد الامد بنحو كبير ومضطرد " (٣٦) .

ثالثاً- الاثار المباشرة للكوارث في تدمير النظام السكاني:

تتبع بعض المستشرقين درجة الضرر الذي خلفته شدة الجفاف وكشفوا تفاصيل ما مر به المجتمع من معاناة جراء نقص الغذاء ، وارتفاع الأسعار وتزايد معدل الوفيات، وحدوث النزوح السكاني ولاسيما في المجاعات الشديدة التي ادت الى حالة اليأس الجماعية و تحول الناس الى بيع أطفالها وأكل لحوم البشر لاسيما مع انخفاض انتاج المحاصيل وتدمير مناطق الرعي وموت المواشي كما يرى هومر وديكسون Dixon&Homer الذين وجدوا ان المعلومات المتوفرة في المصادر كافية الى حد ما لتقييم حجم الكوارث على الجانب البشري (٣٧).

وقد خلص دولز Dols الى ان الطواغين التي عصفت بالشرق الاسلامي كانت سببا في تدمير النظام السكاني في الدولة الاسلامية (٣٨) وقد تتبعته سارة كيت Sarah Kate حدوث (٧) موجات جفاف حلت في العراق في القرن (١٠/هـ٤٠م)، و (١٦) موجة جفاف في القرن (١٢/هـ٦٠م) سببت حدوث ٨ مجاعات، اما في القرن (١٣/هـ٧٠م) فقد وقعت (١١) موجة جفاف ادت الى حدوث (٦) مجاعات (٣٩)، و تخلص كيت الى ان انه وخلال القرنين (١٢) وأوائل القرن (١٣) الميلاديين، اصبح الجفاف والمجاعات ظاهرة متكررة ؛ كانت تستمر احيانا الى عامين متتاليين كما حدث في الاعوام (٥١٩-٥٢٠هـ/١١٢٥-١١٢٦م) و (٥٧٤-٥٧٥هـ/١١٧٨-١١٧٩م) التي تضائل فيها الانتاج الزراعي وشح المطر وعانى الناس بشكل كبير (٤٠) .

ومن تلك المشاهدات المؤلمة التي نقلتها سارة كيت Sarah Kate في العراق ما ورد في احداث سنة (٤٢١هـ/١٠٣٠م) الكارثية عندما حل الجفاف وعصفت موجة برد قوية ادت الى ارتفاع معدلات الوفيات بشكل مخيف في مناطق شاسعة من العراق ، بعد ان تجمدت المياه في بغداد ودمرت الأشجار ولم تنتج ثمارًا طوال ذلك الموسم ،وحدثت مجاعة كبيرة لدرجة أن البدو اكلوا اطفالهم فرغوا من جمالهم وخيولهم ، فكان الرجل يستبدل طفله بطفل شخص اخر حتى لا يشعر بالألم (٤١).

وفي العام (٥٧٤-٥٧٥هـ / ١١٧٩-١١٨٠م) حل جفاف بسبب عدم هطول الأمطار بشكل كامل في جميع أراضي الخلافة العباسية وسرعان ما أصبحت المجاعة شديدة وواسعة الانتشار في جميع الأراضي، فشح الطعام حتى اكل الناس الجيف ،ومن ثم تبعها وباء شديد خلف اعدادا كبيرة من الموتى فملئت الجثث الشوارع ، واصيب الناس بالهذيان (٤٢).

وفي العام (٦٢٣-٦٢٢هـ / ١٢٢٥-١٢٢٦م)، اشتد الشتاء وحدثت المجاعة في الموصل والجزيرة فاكل الناس القطط والكلاب حتى اصبحت رؤية هذه الحيوانات نادرة (٤٣) ، اما أولئك الذين نجوا من الموت فقد أصابهم الوباء من استنشاق رائحة الجثث وشربهم المياه الملوثة (٤٤).

وقد خلص دولس Dols الى ان ما وصله من اخبار بأعداد الموتى وكيفية دفنهم يعد شيئا جنونيا ولاسيما في اوبئة الاعوام (٤٤٨-٤٤٩هـ/١٠٥٦-١٠٥٧م)، (٥٩٧-٥٩٨هـ/١٢٠٠-١٢٠١م) (٤٥)، كما اما كريمر فانه خلص الى ان الوبئة المدمرة المتلاحقة ادت الى حدوث المجاعات وتحول الناس الى اكل لحوم البشر (٤٦).

من جهة اخرى لم تخفي سارة كيت Sarah Kate شكوكها بهذا النوع من المرويات، مشيرة الى ان في احداث عام (٦٢٣هـ/١٢٣٤م) انخفضت الغلات الزراعية بسبب أسراب الجراد وتم تسجيل سقوط البرد بحجم الحجارة فحدثت مجاعة و لم يرد ذكر لمعدل الوفيات او تناول لحوم البشر أو الهجرة من المناطق المنكوبة بالمجاعة، كما



لا يرد ذكر سياسي أو عسكري على الرغم من أن هذا الجفاف كان طويلاً تبعاً لحسابات معاصرة ومقارنة بالأضرار التي لحقت بالمحاصيل التي كانت كبيرة<sup>(٤٧)</sup>.

ان هذه التعليقات تحملنا الى الاعتقاد بمقدار الحذر الذي تبناه المستشرقون في تعاملهم مع الشهادات التي حملتها المصادر التاريخية بشأن تداعيات الكوارث على الجانب الانساني وعدم تقبل كل ما ورد من شهادات على الرغم اقرارهم بصدق العديد من الحوادث المتصلة بحدوث حالات انسانية مروعة في اوقات الكارثة، مما يضفي صبغة موضوعية تقلل من حدة التعاطي الوجداني المفرط مع تداعيات الكارثة وقراءتها وفق المعطيات الواقعية .  
المبحث الثالث: الاثار السياسية والعسكرية

أولاً- الكوارث الطبيعية وصلتها بزوال الخلافة الاموية عام(١٣٢هـ/٧٤٩م):

خلص كريم Kremer الى ان الطواعين كانت احد الاسباب الخفية في زوال حكم الدولة الاموية ، بسبب تكرارها في العراق والشام وما تلاها من المجاعات في العصر الأموي ،ولاسيما ان حدوثها كان يدفع الخلفاء الامويين وقواداهم وعساكرهم على مغادرة قصورهم الى الصحراء او الى الجبال حتى نهاية الوباء ولعل ذلك كان سببا في تعميق نشاط المعارضة في العاصمة دمشق خلال هذه المدة<sup>(٤٨)</sup>، ولان حدوثها شجع المناوئين وقطاع الطرق و اللصوص على الخروج ضد السلطة الاموية<sup>(٤٩)</sup> ولاسيما وان حدة الوبئة باتت اعنف منذ منتصف القرن(٨٢هـ/٨م)، وهي المدة التي تزامنت مع تزايد هجمات الثوار العباسيين على الدولة الاموية الذين تمكنوا في نهاية المطاف من ازالتها وتأسيس دولتهم في العام(١٣٢هـ/٧٥٠م)<sup>(٥٠)</sup>.

واعتقد دولز Dols في ان التكرار المستمر لانتشار الطواعين كان سببا في تأخر النمو السكاني وعامل ضعف للدولة الاموية، ومصدرا لاستنزاف القدرة البشرية على مساحة واسعة من الامبراطورية الاموية ،ما ادى الى تناقص عدد سكان المدن وابتعادهم للعيش في الصحراء الامر الذي كان سببا في عدم التوازن السكاني وسببا في تراجع الهيبة والازدهار<sup>(٥١)</sup>.

ومن الناحية الاجتماعية يرى كريم Kremer : "ان الكوارث الطبيعية وتداعيتها عمقت الروح العنصرية في ارجاء الدولة الاموية وسرعان ما تلاشى الانتماء العربي القومي القديم ،وفقدت الكثير من القبائل العربية من مآثرها وعاداتها ،وتنامت الروح الفارسية ضد حكم العرب ولغتهم واسهمت هذه الحركات في قيام نهضة فارسية قوضت مركزية الدولة الاموية ، وسرعان ما حلت محل العناصر العربية في المشرق لتستحكم على الجزء الشرقي من الخلافة"<sup>(٥٢)</sup>.

وقد لاحظ لائل ليستر little Lester ان حدة التأثير المدمر للوبئة والطاعون قد قلت منذ نهاية الحكم الاموي حتى منتصف القرن السادس الميلادي اذ اصبحت الجوائح اقل فتكا وانتظاما في مدن العراق وصارت تظهر كل عشر سنوات تقريبا<sup>(٥٣)</sup>، فأصبحت الكوارث الطبيعية جزء من الدعاية السياسية للعباسيين في خطابهم لما تبقى من بقايا الدولة الاموية لإضفاء الشرعية على حكمهم ،من خلال عد الوبئة عقوبة سماوية للأمويين<sup>(٥٤)</sup>.  
من جهة اخرى خلص المستشرق دولز بعدم حدوث أي كارثة او وباء عظيم منذ تأسيس الدولة العباسية حتى عهد الخليفة المقتدر(٢٩٥-٣٢٠هـ / ٩٠٨-٩٣٢م):

"When the Abbasids came to power, there were no more plagues till the reign of "

"Al-Muqtadir 295-320/908-932"<sup>(٥٥)</sup>

وقد اقر كريم بناء على هذه المعطيات التاريخية بان هذه المدة من الهدوء كان سببا في استقرار العصر العباسي الاول : " لم تشهد الخلافة وباءا مدمرا حتى سنة(١٣٥هـ)ومنذ القرن الثالث الهجري اصبحت الفترات

الزمنية التي تفصل بين حدوث الكوارث اطول وانتشار الطاعون اقل ندرة لكن رغم ذلك تأثرت بغداد بقحط اصاب المناطق المجاورة لها خلال هذا القرن ، لكن وعلى الرغم من تراكم الثروة وازدهار الحواضر العباسية ،بغداد وسامراء، سرعان ما عاد المشهد القديم بعد ان تتابع حدوث الكوارث الطبيعية<sup>(٥٦)</sup> ، ومنذ بداية القرن ٤ هـ/١٠م تتابع انتشار الطواعين في بغداد واحد تلو الاخر بشكل متعاقب، وتزامن معها ابتلاء الناس بالمجاعات وتوابع الوباء المدمرة الاخرى<sup>(٥٧)</sup> .

ثانياً- الاثار الاقتصادية للكوارث الطبيعية وصلتها بزوال السلطة المركزية للدولة:

يرى Allen C.Robert ان تراكم الازمات السياسية والكوارث المناخية كانت سببا في النهاية المباشرة للنظام العباسي<sup>(٥٨)</sup> ، اذ خلفت الكوارث الطبيعية اثارا سيئة ادت لحدوث توترات اجتماعية اسهمت في اشعال فتيل نار الفتن و الصراعات و العنف والثورات في نهاية المطاف<sup>(٥٩)</sup> ، نتيجة حدوث الزلازل والجفاف والأوبئة والجراد والكوارث الطبيعية الاخرى و خسارة المحاصيل والأراضي وعدم قدرة المستأجرين على الدفع<sup>(٦٠)</sup> ، ونتيجة لهذه الكوارث فقد العراق نفوذه الاقتصادي بعد تناقص مصادر الدخل التي كانت مصدر سلطته ، فأصبحت الخلافة تعتمد على مقدرات داخلية ضعيفة ادت الى تناقص نفوذه تدريجيا وبنحو حرج على الاقاليم المحيطة<sup>(٦١)</sup> .

و قد حدد ليسترنج Le Strange بان منطقة السواد الواقعة بين نهري دجلة والفرات جنوب بغداد حتى الخليج كانت اهم منطقة لزراعة القمح في الدولة الاسلامية ،و حين يحل الجفاف يصبح العراق غير قادر على تقديم المعونة للمناطق الاسلامية المحاذية له الامر الذي افقده مكانته المركزية في اوقات الكارثة<sup>(٦٢)</sup> ، ويرى كريم: "ان حالة من الاضمحلال الاقتصادي، تركت الدولة الاسلامية مقسمة إلى العديد من الدول نصف السيادة، بعد ان كانت امبراطورية موحدة لم يكن فيها حواجز كمركية والتجارة مجانية في كل مكان ، كما اثرت الكوارث الطبيعية على احوال المجتمع بشدة فاصبح الناس أكثر قسوة ولامبالاة بالصالح العام ، مما ادى الى تشطي دولة الخلافة ،بسبب اولئك القلة الذين يمتلكون القوة وبغياب الدوافع الثقافية والحيوية والسياسية تحول نسيج الدولة الى غبار بنحو تدريجي"<sup>(٦٣)</sup> .

لقد تتبع بعض المستشرقين سياسة الدولة تجاه المجتمع خلال مدة الازمة في محاولة لرسم الخط البياني التنازلي لضعف الدولة، وحسب كريم فمن شواهد هذا الانحلال تحول الدولة بفعل الكوارث الى فرض الجمارك ورسوم العبور في كل مكان، الامر الذي ذهب بازدهار الامبراطورية الاسلامية ويبدو ان جميع المقاطعات حتى الاصغر منها سعت إلى زيادة عائداتها من خلال فرض ضرائب جديدة (Mokus) لم تكن موجودة في النظم الادارية الاسلامية القديمة ، وقد فرضت رسوم للعبور خلال الدولة أيضا ، مما اعاق التجارة وادى الى غلاء الأسعار<sup>(٦٤)</sup> .

كما تركت هذه السياسات اثرا سلبيا على نظام الحج، اذ لم يسلم الحجيج من المكوس الباهظة والمعاملة القاسية، ففرضت ضريبة الحج في المعابر البرية والبحرية الى مكة دون ادنى اعتبار لمصالح الناس ودون ادنى شفقة احيانا ،ففرض على المخالفين من الحجاج والمعتمرين حمل حجارة ثقيلة حول أعناقهم ،أو أن يقفوا لساعات في الشمس الحارقة ، كعقاب لهم في حالة تعسرهم عن الدفع ، و يرى كريم Kremer ايضا ،ان هذه الظروف شجعت رجال الدولة على استغلال مناصبهم من خلال التكبس اللامحدود، من خلال استغلال عقود إيجار التابعة للحكومة واستنزاف موارد الناس وافقارهم بالنظام الربوي<sup>(٦٥)</sup> ، فتنامت ظاهرة الاحتكار حتى ان بعض التجار قاموا ببيع الطعام بسعر الكتب المرصعة بالجواهر و كثير منهم اصبحوا اغنياء بسبب هذه الطريقة<sup>(٦٦)</sup> وأصبح

ملحوظًا أيضًا شيوع الإحباط السياسي العام بعد ان فقد الناس إحساسهم بواجبهم وصار من العسير عليهم الشعور بالواجب تجاه الدولة والمجتمع الا لدى بعض اصحاب الثقافة العالية<sup>(٦٧)</sup>.

ويبدو ان الوبئة كانت سببا في قطع الطرق الرئيسية للتجارة على ساحل البحر المتوسط ، للحيلولة دون انتقال العدوى عبر القوافل التجارية من مدينة الى اخرى الامر الذي ادى الى ضعف النظام التجاري<sup>(٦٨)</sup>.

ليس ذلك فحسب بل خلفت الكوارث الطبيعية تحولات خطيرة في النظرة الى الدين الذي يعد مصدر السلطة الرئيس لنظام الخلافة بسبب شيوع التفكير الخرافي و التعصب، وانحسار النشاط الفكري وتضائل الحياة الروحية وظهور طوائف دينية حتى شاعت الشكوك والريبة و ساد الجمود في الإمبراطورية الإسلامية<sup>(٦٩)</sup> فتركت المواجهات مع الوباء علامة عميقة على علم الكلام الإسلامي<sup>(٧٠)</sup>.

ثالثاً- الكوارث وتأثيرها على التوازنات العسكرية والدبلوماسية:

تركت الكوارث الطبيعية اثرا بالغا على التوازنات العسكرية في المشرق الإسلامي في القرن (١٢/٥٧م) ولاسيما في مدة الصراع الإسلامي الصليبي<sup>(٧١)</sup> ، لقد دأب المؤرخون الصليبيون الى عرض صلة الكوارث الطبيعية بالقرارات السياسية لحكام اوروبا، اما تبريرا للأفعال الأخلاقية او ادانة للأعمال الفاسقة للملوك والحكام<sup>(٧٢)</sup> لقد ادت الكوارث الطبيعية وتداعياتها على المجتمع الإسلامي الى نشوب حرب اقطاعية بين المسلمين والمسيحيين مما حدا بالمسيحيين لاستمالة اوروبا وإجراء نداءات إضافية للحصول على مساعدة من البابا وملوك أوروبا<sup>(٧٣)</sup> فقد عد الصليبيون الهزات الارضية التي لحقت بالمشرق الإسلامي اشارة من السماء على غضب الرب من المسلمين لذنوبهم فكانت ذريعة لهم وحافزا لتجنيد الصليبيين لشن الحملات العسكرية، ولاسيما في عند حدوث الزلازل التي عدها المسيحيون انتقام الرب من المسلمين والعرب ودعوة منه للإنقاذ المسيحيين<sup>(٧٤)</sup>، ومن الشواهد الاخرى عندما انطلقت الاساطيل الى المشرق الإسلامي اعتقد الصليبيون بان هبوب الرياح الشمالية العاصفة التي صارت تسرع بهم الى غايتهم وكأنها رسالة اليهم من الرب لنيل من اعداء المسيحية<sup>(٧٥)</sup>.

ومن الاثار المباشرة الاخرى نلمس ان حدوث الكارثة كان سببا في ايقاف الحرب و ابرام الصلح ، اذ ترك زلزال عام (١١٧٠/٥٦٦م) اثارا جسيمة بالتحصينات الدفاعية والحاميات العسكرية حتى ارغمت القادة على اعطاء الاوامر بالتزام التحصن والدفاع عن الارض وعدم الانسحاب في أي معركة خارجية<sup>(٧٦)</sup>، وعندما حل الجفاف حمل القادة إلى القيام بالعديد من الأعمال الدبلوماسية بين الكيانات السياسية الرئيسية فكانت النتيجة الأكثر أهمية ايقاف الجهاد ضد الصليبيين وتوقيع معاهدتي سلام تم ابرامهما نتيجة النقص الحاد في المون الغذائية للحيلولة دون فقدان جزء كبير من الجيش بسبب المجاعة والمرض او من أجل إنقاذ المحاصيل<sup>(٧٧)</sup>.

رابعاً- الاثار المباشرة في استخدام الوبئة كسلاح احيائي لإسقاط نظام الخلافة الإسلامية:

ومن جملة الدراسات الجديرة بالتقدير تندرج دراسة الباحثتين في الدراسات الإسلامية مونیکا كرين **Monica Green** ونايهن فانسي **Nahyan Fancy** التي خلصت و استنادا الى ادلة مأخوذة من الصين ويران الى ان المغول شرعوا منذ العام (١٢١٠/٥٦٧م) باستخدام نشر الطاعون في حصاراتهم للمدن التي بصدد احتلالها، لإضعافها قبل الشروع بغزوها لما كان لذلك الوباء من اثر مدمر وقد تم استخدام نشر الطاعون في حصارهم لبغداد واسقاط الدولة العباسية في العام (١٢٥٦/٥٨٨م)، ولعل ذلك يعد اول اشارة لاستخدام الحرب (البيولوجية) في التاريخ الإسلامي.

"Evidence both from Song China and Iran suggests that plague was involved, in major sieges laid by the Mongols between the 1210s and the 1250s, including

## the siege of Baghdad in 1258 which resulted in the fall of the Abbasid caliphate<sup>(78)</sup>

لقد تركت دراسة المستشرقين بصمة واضحة في اسباب انهيار الدولتين الاموية و العباسية التي عدت عوامل مساعدة من قبل المؤرخين الذين ذهبوا الى فرضية انهيار النظام الاسلامي بسبب سطوة جيش المغول وضعف الخلفاء المتأخرين وانقسام الدولة والصراعات القبلية ،دون بيان للأسباب العميقة لتداعيات الكوارث الطبيعية التدريجية على النظام الزراعي ، واختلال التوازن في المجتمع الريفي ، والاثار التدميرية لأنهار، والاثار السلبية للكثافة السكانية وتأثير المجاعات والوبئة التي ادت الى توحش المجتمع وتغير ملامحه ومعتقداته من جميع النواحي ، كل ذلك كان سببا في حدوث الانحلال التدريجي للدولة من النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية .

### الخاتمة

خلصت الدراسة الى بيان قيمة المنهج الاستشرافي في بناء تصورات علمية و موضوعية مستله من حوادث تاريخية متناثرة ، جمع المستشرقون من خلالها ادلة دامغة على ان زوال الخلافة الاموية في دمشق والخلافة العباسية في بغداد حدث بفعل ازمت اقتصادية وسكانية واجتماعية متراكمة ،وعدت العامل الخفي والقوة الساكنة (الاستاتيكية) لحدوث الاضطرابات الامنية السياسية والعسكرية .

اما عن احتلال المغول لبغداد فقد تبين من خلال الدراسة ان جيش المغول استخدم الحرب البيولوجية لنشر الوبئة لإضعاف الدول واغراقها بالأزمات قبل غزوها ،ويبدو انهم اكتشفوا الية للتعامل مع الاحياء المجهرية المسببة للعدوى ومعرفة خصائصها من حيث قوة الانتشار وزمن حضانة الوباء ومدة اختفائه وهذا يدل على تطور ملحوظ في فن الحرب الخفية لديهم .

كما خلصت الدراسة الى ان المنهج التحليلي والاحصائي والوصفي الذي اعتمده المستشرقون يعد تطورا كبيرا في دراساتهم التاريخية الاسلامية التي تم قراءتها قراءة تخصصية معاصرة علما ان المستشرقون في دراساتهم لم يعتمدوا جميع الاخبار الواردة في الكوارث الطبيعية في المؤلفات الاسلامية وغير الاسلامية بل قاموا بأعداد جداول بالكوارث المؤثرة التي لم يتجاوز عددها الاربعين كارثة ، من اصل مئات الكوارث الطبيعية الواردة في المصادر الاسلامية ، التي حمل بعضها نصيبا من المبالغة وتبعاً لذلك فان القائمة التي عرضها كرامر Kramer تعد من القوائم المهمة في التاريخ الاسلامي لأنها تعرضت للنقد والتحقيق والتحليل والمقارنة مع ما ورد في المصادر غير الاسلامية .

وقد خلصت الدراسة الى ان اسماء المستشرقين الواردة في هذه الدراسة اشبه بفريق بحث عالمي تبنى فرعا جديدا في الدراسات الاسلامية بعيدا عن الدراسات التقليدية المتعلقة بالإسلام الفكري او السياسي وتبعاً لذلك تمثل هذه الدراسة بوابة لتعريف بجيل جديد من المستشرقين المتخصصين بالجغرافية الاسلامية وهو افق جديد تقدمه للباحثين العرب والمسلمين طمعا في الاجر والثواب .

- (1) Tā'ūn and wabā' , p,302.
- (2) The third century, p,287.
- (3) climate and politica ,p,25.
- (4) Ibid ,p21
- (5) Arabia before Muhammad ,p122
- (6) Arabic plague, pp. 91-93
- (7) climate and political .p,25.
- (8) encyclopedia of pestilence pandemics and plagues ,p331
- (9) the black death, p 35
- (10) tā'ūn and wabā' pp 273 -280
- (11) Arabic plague, p66, tā'ūn and wabā' pp 294-297
- (12) the orient under the caliphs, p٢٠٤
- (13) Ibid, p,204.
- (14) climate of the near east 1 /pp20- 24
- (15) the third century, p,287.
- (16) A shaykh and effendi,,p8
- (17) Ashbal, d. climate of the near east 1 /pp18- 19.
- (18) land behind baghdad ,p103
- (19) the third century ,p,287.
- (20) land behind Baghdad ,p101
- (21) Salt and silt ,pp. 1251-1258 .
- (22) Allen c.Robert the collapse, p,17.
- (23) the collapse, p,28.
- (24) Ibid, p,12.
- (25) Ibid, p,15.
- (26) Allen c.robort the collapse, p,16.
- (27) climate of the near east 1 /pp18- 19
- (28) Sarah Kate ,climate and political ,p14
- (29) the status of the land , pp 28-29
- (30) Adams,land behind baghdadm,p101
- (31) the third century ,pp 295 -294
- (32) climate and political climate, p 20
- (33) the third century, p299

- (34) the orient under the caliphs, p,207  
(35) the topography of Baghdad ,p 99  
(36) Dols.,the black death , p 4  
(37) Environmental changes, p78.  
(38) the black death ,.p vii  
(39) climate and political , pp21-25  
(40) Ibid, pp21-25  
(41) Ibid, p49  
(42) Sarah Kate ,climate and political ,P,76.  
(43) Ibid,p88  
(44) Nahyan Fancy and Monica H.,plague, pp. 157 – 177  
(45) the black death in the middle east, p 35  
(46) the orient under the caliphs ,p 202  
(47) climate and political, p,88.  
(48) Kremer, culturgeschichte, vol. 2, p. 493  
(49) the orient under the caliphs,p 202  
(50) Kremer, the orient under the caliphs,p,205.  
(51) the black death.p28  
(52) the orient under the caliphs , p 209  
(53) Dols. the black death ,p28  
(54) Little lester k. life and afterlife of the first plague pandemic. p66  
(55) Dols, plague in early Islamic history, p 380.  
(56) the orient under the caliphs, p204  
(57) kremer , the orient under the caliphs , p,205.  
(58) The collapse of the world's oldest civilization, p3  
(59) Evans,J,Richard, epidemics and revolutions ,.p150  
(60) William j. purkis, crusading spirituality in the holy land, pp 67-85.  
(61) Waines, third century, p 287  
(62) Le strange, g. the lands of the eastern caliphate, p 24.  
(63) the orient under the caliphs p.210.  
(64) Kramer, the orient under the caliphs. P,206.  
(65) Ibid,p,207.  
(66) Nahyan fancy and Monica h. green ,plague, pp. 157 – 177  
(67) Kremer, the orient under the caliphs ,p209

- (68) Dols. the black death , p28  
(69) kremer, the orient under the caliphs ,p210  
(70) Nahyan fancy and monica h. green ,plague, pp. 157 – 177  
(71) Campbell, “nature as historical protagonist,p 302.  
(72) Casta Stephen ,natural disasters pp,119– 126.  
(73) William j. purkis, crusading spirituality in the holy land ,pp67–85;  
(74) The chronicle of Matthew of Edessa, p267.  
(75) lapina, warfare and the miraculous, pp122–142  
(76) Sarah Kate ,climate and political ,p39  
(77) Ibid pp 76,88  
(78) Nahyan fancy and monica h. green ,plague pp. 157 – 177

#### قائمة المصادر

1. Adams Robert McC. Land Behind Baghdad: A History of Settlement on the Diyala Plains, University of Chicago Press ,Chicago, 1965
2. Allen C.Robert The Collapse of the World’s Oldest Civilization: The Political Economy of Hydraulic States and the Financial Crisis of the Abbasid Caliphate, Harvard University,2016
3. Ashbal, D. Climate of the Near East , vols2 Jerusalem, 1973
4. Campbell, Bruce M. S.,Nature as historical protagonist: environment and society in preindustrial England, The Economic History Review New Series, Vol. 63, No. 2 (May 2010)
5. Casta Stephen ,Natural Disasters and the Crusades: Framing Earthquakes in Historical Narratives, 1095–1170,presented to the University of Waterloo in fulfillment of the thesis requirement for the degree of Master of Arts in History Waterloo, Ontario, Canada, 2017
6. Conrad.I.Lawrence,Arabic Plague Chronologies and Treatises: Social and Historical Factors in the Formation of a Literary Genre Studia Islamica, 1981, No. 54 Brill, 1981
7. Conrad.I.Lawrence,Tā‘ūn and Wabā’ Conceptions of Plague and Pestilence in Early Islam,Journal of the Economic and Social History of the Orient , Vol. 25, No.3, Brill ,1982
8. De Lacy O’leary, Arabia Before Muhammad,Egan Paul, Trench, Trubner & Co., Ltd.New York: E. P. Dutton & Co.London,1927

9. Dols M.W. Plague in Early Islamic History. Journal of the American Oriental Society, Vol. 94, No. 3 (Jul-Sep 1974)
10. Dols M.W. the black death in the Middle East, princeton university press, princeton, New Jersey, 1977.
11. Evans, J, Richard, Epidemics and revolutions ,Epidemics and ideas Essays on the historical perception of pestilence ,Cambridge University Press ,Uk .1992.
12. Fernea. Robert. A Shaykh And Effendi: Changing Patterns of Authority among the El Shabana of Southern Iraq ,Cambridge, Harvard University Press, 1970
13. Forand, G., Paul, The Status of the Land and Inhabitants of the Sawad During the First Two Centuries of Islam , Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol 14, Brill 1971
14. Homer-Dixson, T. F. On the Threshold: Environmental changes a cause of acute conflict, International Security 16, no. 2 ,1991 .
15. Jacobsen Thorkild and Adams. M. Robert Salt and Silt in Ancient Mesopotamian Agriculture, Science, New Series, American Association for the Advancement of Science, Vol. 128, No. 3334 (Nov. 1958)
16. Joseph P. Byrne ,Encyclopedia of Pestilence Pandemics and Plagues, Vol. 1 ,Greenwood Press Westport, London, 2008
17. Kremer, Alfred Von ,Culturgeschichte des Orients unter Den Chalifen, Vol. 2 ,Wilhelm Braumüller ,Wien 1877
18. Kremer, Alfred Von, The Orient Under The Caliphs, Translated By S. Khuda Buksh, Porgupine Press, Philadelphia, 1977
19. Lapina, Elizabeth Warfare and the Miraculous in the Chronicles of the First Crusade , Published by Penn State University Press, USA. 2015
20. Lassner. Jacob The Topography of Baghdad in the Early Middle Ages. Wayne State University Press. Detroit, 1970.
21. Le Strange, G. The Lands of the Eastern Caliphate, Mesopotamia, Persia, and Central Asia, from the Moslem conquest to the time of Timur (London, 1966)
22. Little Lester K. Life and Afterlife of the First Plague Pandemic. Cambridge University Press, UK, 2007
23. Michael the Syrian; The Syriac Chronicle of Michael Rabo (The Great), translator By Matti Moosa, Beth Antioch Press, USA, 2014
24. Nahyan Fancy and Monica H. Green ,Plague and the Fall of Baghdad (1258), Medical History , Vol. 65 , Issue 2 , Cambridge University Press April 2021



25. Raphael ,Sarah Kate ,Climate and Political Climate, Environmental Disasters in the Medieval Levant ,Koninklijke Brill NV, Leiden, The Netherlands.2013 ,
- 26.The Chronicle of Matthew of Edessa,Translated from the Original Armenian transby,Ara Dostourtan University Press of Amerca Lanham·New York London 1993.
- 27.Waines,David The Third Century Internal Crisis of the Abbasids,Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol. 20, No. Brill 1977.
28. William J. Purkis, Crusading Spirituality in the Holy Land and Iberia, c.1095–c.1187 Boydell Press, ,Woodbridge, 2008 .